شكل النهاية يتراجع البعد الجمالي ، ويطفو على السطح المقال الايدولوجي الذي يعرف البداية ويتيه في الية التحويل الفني ليعطي في النهاية « فلسطينيا » نقرأ عنه ولا نعرفه لاننا لا نصادفه في حياتنا اليومية .

صراخ في ليل طويل ــ تحقق الانا

« صراخ في ليل طويل » هي رواية الذات او الانا التي يحكم تطورها تطور الرواية . فمن البداية إلى النهاية يتزايل الزمان والمكان ولا يبقى في مساحة القراءة إلا « الانا » التي تكتشف وتعيد اكتشاف ذاتها . قد تشي السطور أحيانا بملامح الزمان دون ان تصل إلى المكان الذي يبقى مغيبا . و« البطل » هو البداية والنهاية وما خلاه صدى واه يشير إليه وينير حركته ، ومع ظل « البطل » تغيب جميع العلاقات الاخرى بما فيها الزمان والمكان .

تتحدد الذات في كل سطر ويتصاعد التحديد حتى يغيب المجتمع والتاريخ وتنطمس الحركة الاجتماعية ، فنقرأ المجتمع والتاريخ في مملكة الفرد ولا نصل لا إلى المجتمع ولا إلى التاريخ . يخترق « البطل » زمانه كشعاع لا يعرف الانتظار ، يبدأ من ذاته ويعود إليها حتى نتساءل في حيرة عن سمة المجتمع الذي ينتمي إليه هذا « البطل » ثم يكف السؤال حين يعلمنا « المقال الروائي » ان « بطله » في خصوصيته لا ينتمي إلى مكان ولا يخضع في علبائه إلى الحركة التاريخية .

البطل هو « أمين » ، صوت ريفي ، من القرية جاء ، وفي المدينة عاش تجربته وارتقى ، فبلغ ابواب « البرجوازية » ، وتابع ارتقاءه صعداً فبلغ قلب القصور الارستقراطية ، وبعد معاناة المدينة التقى بنفسه من جديد لقاء بلا فراق لانه لم يغادر ذاته أبداً .

ذات تدور حول ذاتها ، وفي دورتها الذاتية تلغي دلالة التجربة على الرغم من حضور التجربة . لا تعيد التجربة إنتاج الذات بل تكشف عن قدراتها الكامنة . أن التجربة ذات دلالة للانسان من حيث هو علاقة اجتماعية اما عندما يكون هذا الانسان « جوهراً يتحدد بذاته » فان التجربة تفقد معناها وتستحيل إلى فضاء محايد تقيس فيه الذات ظلها . و« أمين » يقترب من الجوهر في سماته : « ها هو ذا أمين سماع قادما يحمل وجهاكوجه المسيح .ص: ٣٠ » . وبهذا الوجه الملائكي ينتقل الأديب والصحفي « أمين » من مرتبة إلى أخرى ، و« ينشق عبير الثروة . ص : ١٣ » ويصعد « مدرجاً مرمريا أنيقا » . تحبه « سمية » البنت « الموسرة » ، وتدعوه الارستقراطية « عنايت هانم » كي يكتب تاريخ أسرتها المنقرضة ، وأخيرا تقترب منه فتاة العصر « ركزان » فيصدها بعد أن طرد « سمية » أيضاً . بعد عثار الجريمة يستعيد جوهره ويذهب في طريق الاستقرار « لم يكن من العسير علي ، حين حدقت في عيونهم ، أن أدرك أن الكثيرين منهم كانوا هائمين على وجوههم ، كما كنت هائما لسنتين مريرتين ، يبحثون عن نهاية لليل طويل وبداية لحياة جديدة . ص : ٩٥ » .

السؤال هنا هو كيف يهيم الجوهر ، وكيف يضيع هذا الوجه الملائكي ؟ في الحقيقة ، الجوهر لا يضيع وإنما يعيد تحققه في التجربة ، أي أن التجربة لا تعبر إلا عن خصوصية الذات وتفوقها القائم منذ البداية . إن المنطق الداخلي للمقال الروائي يحدد سمة البطل المنتصر منذ